

## الشرق أوسطية بين تصورات التفكير ورهانات التحليل

أ. نبيل كريش

قسم العلوم السياسية

جامعة باتنة

### ملخص

إن الهدف من هذه الورقة يكمن في دراسة فكرة الشرق أوسطية كنظام بديل عن النظام الإقليمي العربي، انطلاقاً من مختلف المشاريع أو التصورات المطروحة لإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط والوطن العربي وأبعادها المتوقعة، في ظل التخوف من تنامي اتجاهات الممانعة والمعارضة، وأهمية المنطقة خاصة في تنفيذ أجندة الاستراتيجية الأمريكية بالنسبة للنفط، والإرهاب، والديمقراطية.

ومن نتائج هذه الورقة أن التركيز الغربي وتحديدًا الأمريكي في رسم وهندسة معالم المنطقة، كان منصباً على الحفاظ على المصالح الاقتصادية والإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية، ومحاولة استثمار كل ما يمكن استثماره بما فيه المذهبية الدينية، بغض النظر عن الرسالة القيمية والحضارية، أو الاكتراث بعوامل التاريخ والثقافة المشتركة.

### Abstract

This paper deals with the idea of Middle East as an alternative system to the Arab regional system, on the basis of various projects or concepts put forward to reform the Middle East and the Arab World, and its expected dimensions. Regarding the increasing tendencies of abstention of the region, especially in executing the American strategic agenda in the fields of oil, terrorism, reformation, and democracy.

What can be concluded from this paper is that the focus of the West, mainly the United States in designing the area, is based on the economic and strategic interests. Their goal concentrated upon the religious differences regardless of the existing common values, civilization and other factors such as history and culture.

## المقدمة

من المشروعات المطروحة لتكريس الهيمنة الدولية وإعادة ترتيب الأوضاع السياسية والاقتصادية الراهنة في منطقة الشرق الأوسط كبديل عن النظام الإقليمي العربي، نجد فكرة "الشرق أوسطية" التي نالت اهتمام العديد من الباحثين والمفكرين، ودأبت بعض الأدبيات السياسية والاقتصادية تسميتها بالنظام أو المشروع أو السوق الشرق أوسطية.

والغرض بطبيعة الحال هو تميع فكرة القومية العربية والعمل العربي المشترك، واستتبات الوجود الإسرائيلي في قلب الأمة العربية، لقيام علاقات جديدة بين دول عربية وأخرى غير عربية على حساب التكامل العربي، ومصادر الثروة العربية، وتأمين المصالح الغربية والأمريكية من النفط العربي، وضمان أمن ورفاهية إسرائيل.

ولا شك أن فكرة الشرق أوسطية أو ما يسمى بمشروع النظام الشرق أوسطي قديم قدم التراجع الحضاري العربي ذاته، وسيطرة الاستعمار الغربي على مقدرات الأمة العربية منذ بداية القرن الماضي. وهو ما يكشف في العديد من جوانبه أسرار العلاقة الغربية القديمة التي تلبس في كل مرة ثوبا معينا وإن كانت ذات أهداف محددة، في ظل حالة التجزئة والاستلاب الثقافي والهيمنة السياسية والاقتصادية الغربية التي تعيشها اليوم الدول العربية.

ويعكس المصطلح من الناحية الجغرافية والسياسية والاقتصادية حجم المجال الاستراتيجي والحيوي الذي تكتسيه المنطقة بالنسبة للقوى الصناعية الرأسمالية في الغرب من أهمها الولايات المتحدة الأمريكية التي تركز على الأسس الاقتصادية والسياسية دون اعتبارات التجانس في الهوية الحضارية والثقافية. وغايتها في ذلك تحقيق العديد من المصالح والأهداف التي ساعدت على تعدد المداخل لدراسة هذا الموضوع مثل:<sup>1</sup>

- المدخل المرتبط بأزمة النظام الإقليمي العربي والبدائل المحتملة له.
  - مدخل المؤامرة المرتبط بموقف الغرب الرامي إلى الهيمنة على المنطقة العربية وتذويب هويتها الوطنية.
  - وأخيرا مدخل النظام الدولي الجديد وانعكاساته على الأمن القومي العربي.
- وبالنظر لتداخل هذه المداخل فيما بينها وأهميتها لدراسة الموضوع، جاءت الدراسة كمحاولة لبحث وتحليل مفهوم فكرة الشرق أوسطية من حيث حدود استخداماتها الجغرافية التاريخية والمصلحية، ومدى أهمية ذلك بالنسبة للمصالح الاستراتيجية الغربية والأمريكية بخاصة، ثم التطرق إلى مختلف التصورات المطروحة لتفكيك المنطقة ورهانات تشكيلها. ومن ثم فإن هذه الورقة تهدف إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما مدى أهمية فكرة الشرق أوسطية بالنسبة للمصالح الغربية والأمريكية تحديدا؟
  - وفيما تتمثل أبعاد مختلف التصورات المطروحة لإعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة؟
  - وما هي رهانات تشكيلها المستقبلية في ظل الأوضاع الحالية؟
- وتأسيسا على ذلك تم الاعتماد على الأسلوب الوصفي التحليلي لأهمية ذلك في تتبع مراحل نشأة الظاهرة موضوع الدراسة وتطوراتها، بناءا على تنوع الأهداف والمصالح وأيضا تعدد الأبعاد الناجمة عنها.

## أولا - حول المفهوم والأهمية:

من الناحية الجغرافية يستخدم مفهوم الشرق الأوسط وفق المنظور الغربي للدلالة على الإقليم الجغرافي الذي يتوسط دائرة تضم قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا، أي ذلك الإقليم الذي يتوسط الإقليمين المعروفين باسم الشرق الأدنى والشرق الأقصى.<sup>2</sup>

وهي المصطلحات التي شاع استخدامها بشكل كبير لدى العديد من الباحثين المهتمين بشؤون المنطقة منذ الاختراق الاستعماري الأوروبي القديم إلى غاية الحرب

العالمية الثانية<sup>3</sup>. غير أن ما أعقبها من تطورات في مراحل لاحقة ساعدت على تبدل مفاهيم الجغرافيا السياسية وانتشار استخدام تعبير الشرق الأوسط Middle East كبديل عن التعبيرين الأخيرين الأدنى والأقصى في بريطانيا في فترة الحربين العالميتين، ثم اعتمدته الولايات المتحدة الأمريكية كمصطلح يشير إلى ذلك الإقليم الذي يقع جنوب الاتحاد السوفيتي سابقا وارتبط بصفة خاصة بسياساتها تجاه نفط الخليج والصراع العربي الإسرائيلي في المنطقة.<sup>4</sup> ولعل ما يفسر مدى أهمية المنطقة الجيوستراتيجية لدى أقطاب الاستعمار والهيمنة في الماضي والحاضر، ذلك الغموض الذي يكتنف حدود مفهومه، والذي يعود حسب الأستاذ يحيى الكعكي إلى المفهوم المسبق للإقليم وما أثر حوله من أسماء أو مصطلحات سواء في الماضي والحاضر، للإشارة إلى كامل الإقليم أو إلى أجزاء منه وخاصة فيما يتعلق بمفاهيم: الشرق الأوسط، الوطن العربي، والعالم الإسلامي،<sup>5</sup> أو لتداخل الجغرافيا والسياسة في مفهومه سواء من حيث تأرجح دلالاته الجغرافية بين الضيق والاتساع أو ارتباط دلالاته السياسية بصفة وثيقة بالسياسة الاستعمارية الغربية التي أوجدته واعتمدته بهدف السيطرة والتجزئة ورسوخ الاستيطان الصهيوني في المنطقة.<sup>6</sup>

إن المفهوم كما يقول أحمد الدجاني تعبير شاع استخدامه عقب الحرب العالمية الثانية، كما أنه متميز الدلالة لمن وضعه، ويقترن بالدراسات الأمريكية على المنطقة بصفة خاصة.<sup>7</sup> وقد تعمدت الولايات المتحدة استخدامه لتجاوز منطقة الوطن العربي إلى أجزاء من دائرة العالم الإسلامي وغيره، في خطوة لضم إسرائيل إلى المنطقة تجسيدا للحلم الإسرائيلي القديم من الفرات إلى النيل.

كما يلاحظ على مفهومه نوعا من الضبابية في مقابل الوطن العربي أو المنطقة العربية، على اعتبار المفهوم الأول كما يقول يوسف الصايغ تعبير عائم يدل على بقعة جغرافية غير ثابتة الحدود، هدفها تجزئة المنطقة بطريقة تعسفية متعمدة تجعل من إسرائيل

قلب الشرق الأوسط في جميع المشاريع والبرامج المنشودة، فضلا عن القضاء عن الهوية العربية والوحدة القومية،<sup>8</sup> حيث يصبح المصطلح يشير إلى مجموعة كبيرة من الدول تتوزع إقليميا بين القارات الأوروبية والآسيوية والإفريقية، عددها أحمد الكعكي في ثلاث وعشرين دولة مقسمة إلى ثلاث مجموعات عرقية: عربية، إسلامية، ومتفرقة،<sup>9</sup> مما يسمح بتحول الوطن العربي بكل ما يحمله من مكونات ثقافية وسياسية وحضارية إلى واقع جغرافي فضفاض يتسع لدول غير عربية ويعترف بشرعية الوجود الإسرائيلي.

### ثانيا- من حيث التصور وأبعاد السيناريوهات المطروحة:

تختلف المشاريع أو التصورات المطروحة بشأن صياغة المنطقة وإحكام السيطرة عليها وعلى مواردها تحت غطاء التعاون الاقتصادي الإقليمي ومبادرات السلام العربي - الإسرائيلي، وتتجلى بداياتها مع تيودور هرتزل الذي تحدث عن الحلم الصهيوني القديم الذي يجعل من إسرائيل بمثابة " سنغافورة الشرق الأوسط" في حالة خلق مصالح اقتصادية مع العرب.<sup>10</sup>

إنه الحلم الذي عرف محاولات متعددة لتحقيقه تبعا لتغير الظروف السياسية والاقتصادية في المنطقة إلى اليوم. فإذا كان بعض الباحثين يربطون الجذور الأولى لهذا الحلم في العالم العربي بمرحلة ما بعد حرب أكتوبر 1973 وتحديدا في مصر، أين ظهرت أفكار تقترح التعاون كمقدمات فكرية لعملية التسوية وتكريس مفهوم الشرق أوسطية كبديل سياسي وجغرافي لمرحلة الصراع مع إسرائيل،<sup>11</sup> فإن ظهور التصور الحديث للمشروع الشرق أوسطي، يعود إلى مشروع الإسرائيلي شمعون بيريز والمصري مصطفى خليل المعروف باسم مشروع مارشال للشرق الأوسط في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي.<sup>12</sup> وما تبلور فيما بعد في اتفاقية غزة - أريحا سبتمبر 1993 التي تمخضت على

التزامات تجعل من فلسطين الجسر الذي يمكن استخدامه للسيطرة على اقتصاديات المنطقة. كما يمكن إدراج القبول الضمني العربي الرسمي مؤتمر مدريد للسلام وما أفرزه من قضايا تمثل أهم ملامحه المنشودة مثل: التعاون الاقتصادي والتنمية، الأمن الإقليمي، الحد من التسلح، المياه، البيئة واللاجئين. وخاصة تلك الموضوعات التي يسميها البعض بمشروعات الربط الإقليمي المقترحة في مجالات: المياه، البيئة، السياحة، والطاقة التي احتلت حيزا مركزيا في المفاوضات المتعددة الأطراف وتتطلب رؤوس أموال كبيرة لتنفيذها.<sup>13</sup> ولأجل التمهيد للمشروع وما تتطلبه المشاريع الاقتصادية من تمويل، لجأت الولايات المتحدة في جانفي 1994 إلى بلدان مجلس التعاون الخليجي للاتفاق حول دعم فرص التجارة وتويعها وتحسين شروط نفاذها إلى الأسواق، ثم الإعلان في أكتوبر من نفس العام على إلغاء قرار المقاطعة لإسرائيل من الدرجتين الثانية والثالثة تمهيدا لإنشاء سوق أوسطية مشتركة.<sup>14</sup>

أما في مؤتمر الدار البيضاء حول التعاون الاقتصادي والاستثمار في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، فقد أصبحت الأولوية للتطبيع والمشروعات الاقتصادية بديلا عن التصور الذي كان سائدا في مؤتمر مدريد، بحجة أن التنمية الاقتصادية المتوازنة هي الدعامة الأساسية للسلام الشامل.<sup>15</sup> ولتنفيذ التعاون والاندماج الإقليمي عمد إلى إحداث آليات عمل من شأنها وضع هذه التصورات موضع تنفيذ من خلال الدعوة إلى إنشاء سوق شرق أوسطية على غرار السوق الأوروبية المشتركة،<sup>16</sup> بغض النظر عن الأسس أو الاعتبارات النظرية والفلسفية والعملية التي تتطلبها مثل هذه المشاريع.

والهدف حسب مهندس المشروع رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق شمعون بيريز، يتمثل في تحقيق جملة من القضايا الأساسية هي: الاستقرار السياسي، الرفاه الاقتصادي، الأمن القومي ونشر الديمقراطية. كما يقوم في مرحلته الأولى على إقامة منطقة تجارة حرة

بين إسرائيل ومنطقة الحكم الذاتي الفلسطيني ثم يتوسع ليشمل المملكة الأردنية وأخيراً دول عربية ومتوسطية في حدود 2010<sup>17</sup>. وهي المحاولة التي تكررت فيما بعد في لقاءات القاهرة وعمان والدوحة، لتحويل الاهتمام من التعاون والتكامل بين الأقطار العربية إلى الاهتمام بالتعاون والتكامل بين بلدان الشرق الأوسط. أي محاولة إدخال المفهوم من بوابة الاقتصاد وتكريس توجهات سياسية وفكرية جديدة تزيد من درجة تبعية العرب للبلدان الصناعية وأهمها الولايات المتحدة الأمريكية سياسياً واقتصادياً وأمنياً، ومن ثم جعل إسرائيل دولة إمبريالية اقتصادية إقليمية إلى جانب إمبريالياتها العسكرية الإقليمية.<sup>18</sup> وتمثل حرية السوق والتجارة أهم الدعائم الأساسية في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي، أو ما يسميه البعض "بالإعلان الإمبراطوري الأمريكي"، الذي يمزج بين المعتقدات الأمريكية في الحرية والعدالة ومصالحها القومية.

إن التصور الإمبريالي للمحافظين الجدد لا يرى في المصالح الأمريكية إلا بالآليات العسكرية والأمنية لتصدير الفوضى الاقتصادية والاجتماعية للخارج وخصوصاً العالم الإسلامي، بل أنهم يعتبرون أنفسهم "الخير" وما عداهم "الشر" ولهم الحق في استئصال الأشرار أينما وجدوا.<sup>19</sup>

وفي حقيقة الأمر، فإن منطقة الشرق الأوسط تعتبر مجالاً حيوياً هاماً بالنسبة للمصالح الأمريكية، ليس لأهمية موقعها الجغرافي والاستراتيجي وما تتمتع به من إمكانات نفطية واقتصادية فحسب، وإنما لما تمثله من مساحة هامة في تنفيذ الأجندة الأمنية والاجتماعية الأمريكية بالنسبة للمسائل التي أسست لتحول جديد في مسار الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة، مثل: الإرهاب، الإصلاح والديمقراطية، وأسلحة الدمار الشامل وغيرها.<sup>20</sup>

ولعل أهم ما يبرز في هذا المجال ذلك التصور الذي يربط بين تنامي الإرهاب ومسألة غياب الديمقراطية في العالمين العربي والإسلامي، بغض النظر عن أسباب بروز وانتشار هذه الظاهرة الحقيقية التي تعود مسؤوليتها الأولى إلى الممارسات الإسرائيلية الأمريكية في المنطقة سواء بالتحيز الأمريكي الدائم إلى إسرائيل أو من حيث محاولتها تقديم معايير جديدة في إطار حربها ضد الإرهاب ذات أبعاد حضارية ثقافية تضع العالم الإسلامي والمسلمين في كفة قوى الشر والقوى غير المتحضرة تأثراً بالرؤية المتطرفة لليمين الديني.<sup>21</sup>

وهذه التصورات تبرز خطورة التداخل بين الأبعاد العسكرية وأبعاد المنظومة القيمية في تحقيق المصالح الأمريكية بالمنطقة، في ظل معضلة الاحتلال والخطاب المزدوج بين مبادرات الإصلاح والديمقراطية واملاءات الإقصاء والرقابة على منظمات سياسية شرعية مقاومة تتهمها بالتطرف والإرهاب. وفي الوقت الذي أهدر فيه الاحتلال وممارساته المختلفة الطاقات في تحقيق الحرية والحكم الصالح في البلدان العربية وقدم ذريعة إرجاء الديمقراطية والتسويق فيها وزاد في شوكة الجماعات المتطرفة،<sup>22</sup> فقد وصفت على سبيل المثال مبادرة الشراكة الأمريكية والشرق الأوسط للإصلاح والديمقراطية US. Middle East Partnership Initiative التي أعلنها وزير الخارجية الأمريكي السابق كولن باول في عام 2002، أنظمة المنطقة بالمغلقة التي تستدعي الإصلاح وطالبت بضرورة إتاحة الفرصة للمشاركة في الحياة العامة وركزت على المرأة. للعلم أن المبادرة تركز على ثلاثة أسس هي: <sup>23</sup> الإصلاحات الاقتصادية، الانفتاح السياسي والاجتماعي، والتربية والتعليم.

كما حدد في مارس 2005 الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن الاستراتيجية الأمريكية للحفاظ على السلام في المدى الطويل بالمساعدة في تغيير الأوضاع التي تؤدي

إلى بروز التطرف والإرهاب وخاصة في المنطقة التي يسميها بالشرق الأوسط الكبير، ومطالبة الدول العربية بضرورة الالتزام بالكف عن التحريض في وسائل إعلامها، ووقف تمويل الإرهاب ودعم التعليم المتطرف، وتبني علاقات طبيعية مع إسرائيل.<sup>24</sup> وهذه النزعة التي عادة ما تبرز في خطابات وتصريحات صقور البيت الأبيض من المحافظين الجدد، ترمي بطبيعة الحال إلى جملة من الأهداف أهمها:

- 1- مسح الثقافة الإسلامية وتكريس النموذج الثقافي الأمريكي الذي يمثل الأساس الإيديولوجي للسياسة الخارجية الأمريكية الجديدة، باعتباره الأرقى مقارنة بالثقافات الأخرى؛
- 2- السيطرة على احتياطات النفط والتحكم في أسعاره؛
- 3- فرض عزلة على كل من إيران وسوريا؛
- 4- ترتيب الحوار الإسرائيلي بما يهيئ فرض الشروط الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني، ونهوض الكيان الصهيوني بلعب دور مرسوم له في المنطقة؛<sup>25</sup>
- 5- النموذج المبتغى أمريكا من الديمقراطية لا يحمل في الواقع سوى اسمها، ولا يهدف إلا "... إلى إعادة صياغة العقل العربي والخصوصية الحضارية العربية لتسهيل الهيمنة الأمريكية على الوطن العربي، من خلال إصلاح التعليم والثقافة التي تنتهما بتلقين الحقد والكراهية ونشر الفكر المتطرف"؛<sup>26</sup>
- 6- محاولات بلقنة المنطقة وشد أطرافها لاستهداف تكريس حالة التجزئة الحالية وتعميقها نحو مزيد من التفكك والتفتت إلى دويلات أو كانتونات صغيرة، على أسس عرقية وطائفية ومذهبية.

ويبدو أن هذا التصور يبرز فيما أشار إليه الزعيم الصهيوني المتطرف جابو تنسكي عام 1929، حينما تحدث عن " كومنولث عبري" في الشرق الأوسط، تكون فيه إسرائيل دولة إقليمية عظمى تدور في فلكها دويلات عربية وإسلامية ومسيحية صغيرة وضعيفة مقسمة على أسس عرقية وطائفية ومذهبية.<sup>27</sup> ثم تجلى منذ بداية الربع الأخير

من القرن الماضي في خرائط أو مشاريع التقسيم التي وضع أولها أو أقدمها المستشرق الصهيوني - الأمريكي - البريطاني الأصل الدكتور برنارد لويس، واعتمدها الكونغرس الأمريكي في جلسته السرية عام 1983 حينما كانت الحرب العراقية الإيرانية مستعرة.<sup>28</sup>

كما يبدو أن العدوان الإسرائيلي على لبنان في جويلية 2006 قد عزز بروز تصور أمريكي لشرق أوسط جديد يستند إلى اعتبارات إثنية وطائفية ومذهبية، تجعل من العرب كقطع الدمينو في يد القوى الغربية والأمريكية خاصة يحركونها كما يشاؤون، بناء على المقاربة التي ترى أن الحدود قابلة للحراك والتغيير، وأن العوامل القومية والإثنية والطائفية هي التي تحدد معالم التغيير في المنطقة التي تفنقر - حسبهم - إلى التجانس والتوازن والاستقرار.<sup>29</sup>

وهو ما يتوافق بطبيعة الحال مع النزعة التوسعية الإسرائيلية على حساب الدول العربية، كما جاء في حديث شمعون بيريز عن الحدود المرنة في كتابه " الشرق الأوسط الجديد"، إشارة إلى حاجة الكيان الصهيوني إلى حدود مرنة وليست ثابتة، بحجة أن الحدود ليست جدراناً.<sup>30</sup>

### ثالثاً - من حيث رهانات الواقع ومعوقات التشكيل:

يبدو أن هناك حسابات إسرائيلية مرتبطة بالاستراتيجية الأمريكية بالنسبة لإعادة رسم الخارطة السياسية لمنطقة الشرق الأوسط، بدأت بالعدوان الأخير على العراق واحتلاله، والرغبة الأمريكية في التفوق العسكري الإسرائيلي الدائم مقابل إضعاف القدرات العسكرية العربية، وتكثيف الوجود العسكري الأجنبي بالمنطقة، الأمر الذي يضع أمن المنطقة تحت رحمة القوى الأجنبية والإسرائيلية، ويقف حائلاً دون أي تعاون في مجال الدفاع العربي المشترك.<sup>31</sup>

ولهذا يبدو الرهان اليوم قائما على العراق كنموذج لتفتيت الوطن العربي على أسس طائفية، ومحاولة تكرار هذا السيناريو في أجزاء من المنطقة العربية الأخرى كحل لتفتيتها وإلهاؤها على المقاومة كما حدث في العدوان الإسرائيلي على لبنان في جويلية 2006، بهدف تحقيق جملة من المصالح الاقتصادية والجيو استراتيجية فيما يتعلق بالبترو، ومساءلة الصراع العربي- الإسرائيلي أمن إسرائيل، ومكافحة الإرهاب، والديمقراطية. وإذا كان الاقتصاد يعتبر سببا استراتيجيا في تحريك العدوان الأمريكي على العراق واحتلاله باعتباره بلدا نفطيا،<sup>32</sup> فإن المصالح الجيو استراتيجية المشتركة بين إسرائيل والولايات المتحدة تجعل من حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني لا يتم إلا بصيغة تحفظ المصالح الأمريكية في المنطقة وتستبعد كل المخاطر والتهديدات على أمن إسرائيل<sup>33</sup>. كما يهدف هذا المشروع إلى دعم الأنظمة التسلطية باسم الاستقرار السياسي والقيام بإصلاحات تضمن نمو اقتصاد السوق والديمقراطية، التي ستكون سدا منيعا أمام الإرهاب الذي يعرقل المصالح الأمريكية في المنطقة.<sup>34</sup>

ويعتبر العدوان الإسرائيلي على لبنان في هذه الفترة أفضل مثال على ذلك، فهو جاء بعد أن نوقش بشكل واضح بين واشنطن وثل أبيب كما يقول برهان غليون لتطبيق القرار الأممي 1559، الذي ينص على تفكيك حزب الله ونزع سلاحه ومحاولة إضعاف المحور السوري- الإيراني ولجم طموح إيران في امتلاك التكنولوجيا النووية، فضلا عن الرغبة في تثبيت الوضع اللبناني الذي قاد إلى إخراج الوجود السوري من لبنان، وبطبيعة الحال تخلص إسرائيل من التهديد القائم على حدودها.<sup>35</sup> إن المسؤولية اليوم تقع على إسرائيل من خلال أطماعها الإقليمية وإستراتيجية الدول الكبرى، وخاصة الولايات المتحدة التي تراهن على النموذج الأمريكي وسيطرة إسرائيل كقوة أساسية رادعة يدور في فلكها الجميع.

ووفق هذا المنظور لا يقوم المنطق الأمريكي على مبدأ الشراكة والتحالف وإنما على مبدأ الإلحاق والتبعية وإلغاء بروز قوة إقليمية غير إسرائيل قد تفكر في البحث عن مجال حيوي لها. كما يبدو أن الوضع العربي اليوم بات رهينة السياسة الأمريكية، ولا يقوم إلا على ضوء علاقاته مع هذا القطب المهيمن، الذي بدأت هشاشته تظهر جليا في سلوكه المتخبط في العراق وفشله انذريع في لبنان والذي من تداعياته:

- 1- الانطباع العام الذي تركه الفشل العسكري الإسرائيلي أمام حزب الله، وعجز السلاح الأمريكي في حسم المعركة لصالح إسرائيل في الأوساط الإسرائيلية والأمريكية والعربية على حد سواء، بالرغم من التدمير الهائل الذي تعرض له لبنان.
- 2- عدم الإشارة الأمريكية إلى خيار القوة العسكرية في التعامل مع المشروع النووي الإيراني، وإيمانها بانتهاج سياسة الحوار والتعاون مع إيران وسوريا بالنسبة للشأن العراقي. مما أدى إلى بروز حذر عام من أن تطوير إيران لمشروعها النووي قد يدفع ببعض البلدان العربية الأخرى لخوض السباق النووي.<sup>36</sup>
- 3- زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس إلى المنطقة بناء على أوامر من الرئيس الأمريكي لإحداث حراك على الصعيد العربي والدولي، مفاده أن القضية الفلسطينية قضية مركزية في الشرق الأوسط، وأن حلها يمكن أن يفتح الباب أمام استقرار المنطقة، وتفاقمها يؤدي إلى تدهور السياسات القائمة.
- 4- بروز أفكار أو مبادرات تدعو إلى الحوار الوطني الفلسطيني وتشكيل حكومة وحدة وطنية، حيث أعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في خريف 2006 بضرورة اعتراف الحكومة القادمة بإسرائيل، ونبذ العنف بناء على التزامات منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية. وهي التصريحات التي لم تلق ترحيبا أو تجاوبا من طرف قيادة حركة حماس التي أكدت على أنها لن تشارك في أي حكومة تعترف بإسرائيل.<sup>37</sup>

وعلى العموم إذا كان الإقرار الأمريكي بالعجز في العراق وحاجتها إلى التفاهم والحوار مع إيران وسوريا وباقي دول الجوار الأخرى، يعد دليلاً هاماً على مؤشرات التغيير الإقليمي في مواجهة الولايات المتحدة، فإن التراجع الأمريكي اليوم في لبنان والهجوم على حلفائها من طرف القوى التي تصنفها في إطار التطرف والإرهاب والعلاقة مع سوريا وإيران، ما كان ليحدث لو لا فشل الحملة العسكرية الإسرائيلية على حزب الله في لبنان إلى جانب الفشل الأمريكي في العراق.

ولهذا يبدو الرهان قائماً على مدى استثمار تأثير المذهبية الدينية عند المسلمين، في ظل التخوف من تنامي اتجاهات الممانعة والمعارضة لمشاريع الأمركة والصهيبة في المنطقة، كآخر محاولة لتفجير العمق الإسلامي من منطلق سياسة " فرق تسد"، بمغازلة بعض الأنظمة السنية على أساس أنها الأكثر اعتدالاً، وتسويق مقولة عدم وجود مصلحة في نجاح حركات المقاومة في فلسطين ولبنان، على اعتبار أن نجاحها قد يفتح المجال أمام عهد جديد في المنطقة تتبوأ فيه الحكومات الإسلامية الحكم.<sup>38</sup>

### الخاتمة:

مما سبق نخلص إلى أن فكرة الشرق أوسطية قديمة، ظهرت في بدايات القرن الماضي وشاع استخدامها فيما بعد لدى العديد من الأوساط السياسية والفكرية خاصة الأمريكية، الهدف منها هو إقامة منطقة تتجاوز النظام القومي العربي بنظام يقوم على قوميات وأجناس وأديان شتى، يضم إسرائيل والأقطار العربية إلى جانب عدد من الأقطار الأخرى، ويضيق مفهومه ويتسع بحسب إرادة ومصالح القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. كما يركز على أسس إقتصادية وسياسية دون اكتراث بأهمية العوامل الثقافية والحضارية والتاريخية المشتركة.

ويسعى المشروع إلى إعادة هيكلة المنطقة وهندستها وفق رؤية ومصالح أطراف القوى الخارجية المهيمنة وتحديد الولايات المتحدة و من ثم إسرائيل، مقابل إبقاء عناصر

التجزئة بين أبناء الوطن العربي الواحد وإضعاف ما يقوم عليه النظام العربي من مرتكزات سياسيا واجتماعيا وثقافيا، في ظل التحيز الأمريكي لإسرائيل وتدعيم مقدراتها تمهيدا لدمجها وتثبيت كيانها.

وأهداف الإدارة الأمريكية بطبيعة الحال في المنطقة هي: الدولة الصهيونية، النفط، ومحاربة الإرهاب. وهي أهداف نابعة من الشخصية الأمريكية التي تقدس المال والقوة والدين إلى أبعد الحدود. والرسالة تبدو واضحة في إطار الدعوة إلى مشروع الشرق الأوسط الكبير ومبادرة الشراكة الأمريكية للإصلاح والديمقراطية، التي تفتح الأبواب أمام القيم الليبرالية الغربية بحجة الافتقار للبرالية السياسية والاقتصادية، وعدم الاستقرار، والإصلاح السياسي، وتعديل المناهج الدراسية، وكل ما يهدد الأمن القومي الأمريكي بغض النظر على المقاربة التي ترى أن الغرب لا يهتم إلا بمصالحه الأساسية الاقتصادية والاستراتيجية أكثر من الاهتمام برسائلته الحضارية وقيمه الإنسانية. ولهذا إذا كانت بعض المؤشرات توحى بأن هناك إصرار على مواصلة استنهاض الخصوصيات العرقية والدينية والمذهبية ودعمها في مفاصل من الجغرافيا العربية والإسلامية، من خلال خلق تكتلات جديدة لا تقوم على أساس المصلحة القومية العربية، فإن التطلع إلى تجسيد مشروع قومي عربي إسلامي يفرض ضرورة تعميم حركات المقاومة والممانعة بجميع أشكالها المشروعة لمواجهة خطر المخططات الصهيونية - أمريكية في المنطقة.

ولم لا استغلال خسارة الحزب الجمهوري في الانتخابات الأمريكية لعام 2006، التي قد تجعل الحقبة المقبلة تشهد خفوتا في النزعة العسكرية بعد النجاح في إيجاد مخرج من المستنقع العراقي، مما قد يعيد الأمل في إعادة الاعتبار لمبدأ العمل الجماعي وتسوية النزاعات المزمنة.

## - حوامش ومراجع:

- 1 أنظر في هذه المداخل: د. محمد نصر مهنأ، قضايا سياسية معاصرة الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1997، ص ص. 273- 274.
- 2 أحمد صدقي الدجاني وآخرون، الشرق الأوسطية مخطط أمريكي صهيوني مصر: مكتبة مدبولي، 1998، ص ص. 23.
- 3 سيار الجميل، "المجال الحيوي للشرق الأوسط إزاء النظام الدولي القادم: من مثلث الأزمات إلى مربع الأزمات: تحديات مستقبلية"، المستقبل العربي، عدد 184، جوان 1994، ص ص. 5 وما بعدها.
- 4 أحمد صدقي الدجاني وآخرون، مرجع سابق، ص ص. 23- 24.
- 5 يحي الكعكي أحمد، الشرق الأوسط وصراع العولمة بيروت: دار النهضة العربية، 2002، ص 123.
- 6 أحمد صدقي الدجاني، المرجع السابق، ص ص. 24.
- 7 نفس المرجع، ص 26.
- 8 يوسف الصايغ، "منظور الشرق الأوسط ودلالته بالنسبة إلى الغرب"، المستقبل العربي، عدد 192، فيفري 1995، ص 5.
- 9 يحي الكعكي، المرجع السابق، ص ص. 129- 132. وللاشارة هنا ، حسب مشروع الشرق الأوسط الكبير، الإقليم يمتد من المغرب إلى باكستان، حيث يضم 19 دولة عربية موريتانيا، المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، السودان، الأردن، العربية السعودية، اليمن، عمان، الإمارات، البحرين، قطر، الكويت، العراق، سوريا، لبنان، وكذلك إيران كدولة إسلامية، بالإضافة إلى تركيا، أفغانستان، باكستان، إسرائيل، مما يجعله يمثل ثلاث قارات ويتربع على مساحة أكثر من أوروبا بأربع مرات ويعيش فيه أكثر من 580 مليون نسمة، أنظر:
- Nils Anderson , « le grand moyen orient échec politique, mirage économique et réalité sécuritaire» in : <http://www.institutdrp.org/contribution/sidrp>.
- وانظر كذلك:
- خير الله عصار، «قراءة في مشروع الشرق الأوسط الكبير»، مجلة بونة، ع03، جوان 2005، ص 15. وما بعدها.
- George Abou, «levée de boucliers contre le projet americain »,in : <http://www.Rfi.fr>.
- Mohamed Makhlouf , « le grand moyen orient et les défis socio- culturels », In : <http://www.strategicsinternational.com>.
- 10 محمود عبد الفضيل وآخرون، التحديات الشرق الأوسطية الجديدة والوطن العربي بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000 ص ص. 128- 129.
- 11 - د. لقاء مكي، « الشرق الأوسط الجديد ... إختلاق الفوضى » في المعرفة : <http://www.Aljazeera.net>.
- 12 نيفين عبد الخالق مصطفى، " المشروع الشرق أوسطي والمستقبل العربي"، المستقبل العربي، عدد 193، مارس 1995، ص ص. 07.

- 13 محمود عبد الفضيل، المرجع السابق، ص 131- 135.
- 14 نيفين عبد الخالق مصطفى، نفس المرجع، ص 12.
- 15 المرجع نفسه، ص 10.
- 16 منصف السليمي، "إعلان الدار البيضاء، تسوية بين مطالب السياسي ومصالح الاقتصادي" المستقبل العربي، عدد 193، مارس 1995، ص 19.
- 17 حسين بوقارة، "مشروع السوق الشرق الأوسطية الخلفيات الواقع والآفاق". المفكر، عدد 01، مارس 2006، ص 140.
- 18 يوسف صايغ، المرجع السابق، ص ص 07- 08.
- 19 مركز الإعلام العربي، « استراتجية تصدير الفوضى ونزعة الهيمنة الأمريكية من منظور اقتصادي واجتماعي»، دراسات اقتصادية، عدد 04، 2004، ص ص 63- 69.
- 20 علي عبد الفتاح الحاروني، « العالم العربي في ولاية بوش الثانية الفوضى البناءة وسيناريوهات نزاع الاستقرار»، دراسات استراتجية، عدد 01، جانفي 2006، ص ص 61- 62.
- 21 نادية محمود مصطفى، "11 سبتمبر والتحول في السياسة الخارجية الأمريكية" في:  
<http://www.islamonline.net/arabic/politics/2002>
- 22 أنظر تقرير التنمية الإنسانية العربية في موقع:  
<http://www.Undp.org>.
- ففي تقرير أعدته الهيئة العلمية التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية في نوفمبر 2004، جاء أن الولايات المتحدة فشلت فيما يسمى "بحرب الأفكار في العالم الإسلامي" بسبب:  
- دعمها المتزايد للأنظمة السياسية العربية والإسلامية المتعاونة معها.  
- تحيزها الفاضح لجانب إسرائيل ضد الحقوق الفلسطينية المشروعة.  
- تدخلها في العالم الإسلامي خاصة الحرب العراقية والأفغانية. مما أدى إلى الفوضى والمعاناة واعتبار الديمقراطية في نظر هؤلاء مجرد خداع ونفاق. بالرغم من محاولتها تحسين صورتها عن طريق إنشاء بعض وسائل الإعلام كراديو سوا وقناة الحرة الفضائية الموجهتين للعالم العربي.  
<http://www.islam.online.net/arabic/news/2004>.
- 23 تدعيما لهذه المبادرة التي أعلنها بول في 12-12-2006 نشرت جريدة الحياة للندن في 13 فيفري 2004 نص مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي قدم إلى قمة الدول الثماني المنعقدة في الولايات المتحدة الأمريكية في جوان 2004.
- 24 أنظر خطاب بوش : الديمقراطية هي مفتاح الانتصار على الإرهاب في العالم ، وهو يطالب بانسحاب القوات السورية من لبنان في: <http://www.usinfo.state.gov>.
- 25 مركز الإعلام العربي، المرجع السابق، ص 71.
- 26 علي عبد الفتاح الحاروني، المرجع السابق، ص 66.
- 27 حسام سويلم، " العراق في الاستراتيجية الإسرائيلية"، دراسات استراتجية، نفس المرجع، ص 58.
- 28 الخرائط تتحدث على تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات شيعية وسنية وكردية وإيران إلى سبع دويلات، ولبنان إلى ثماني دويلات، ومصر ثلاث دويلات، والسودان خمس دويلات وغيرها وغيرها.

- أنظر جريدة الوفد المصرية، ليوم 28 فبراير 1998.
- وكذلك/ المؤامرة الكبرى. مخطط تقسيم الوطن العربي من بعد العراق، حصار الفكر، عدد، 143 مارس 2004، ص ص. 30-31.
- 29 أثناء العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان وضعت خارطة على موقع القوات المسلحة الأمريكية ونشرتها مجلة القوات المسلحة الأمريكية في عددها الصادر في جويلية 2006 تبين تصورا أمريكيا جديدا لتقسيم منطقة الشرق الأوسط، في مقال للضابط " رالف بيترز" بعنوان « حدود الدم » وتناقلته وسائل الإعلام بالشرح والتحليل منها:
- جريدة الخبر اليومية، عدد 27 جويلية 2006.
  - وجريدة الشروق اليومي، عدد 31 جويلية 2006.
- 30 شمعون بيري، الشرق الأوسط الجديد، ترجمة: محمد حلمي عبد الحافظ بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1994.
- 31 تنتشر القواعد العسكرية الأمريكية في حوالي 130 بلدا حول العالم منها العديد من الدول العربية الكويت، السعودية، قطر، البحرين، عمان، الامارات، الأردن، مصر، العراق، جيبوتي.
- أنظر/ محمد السيد غنايم، " القواعد العسكرية الأمريكية في العالم العربي " في موقع : <http://www.Aljazeera.net/nr/exeres/>.
- أما فيما يخص وجود السلاح النووي في الوطن العربي وامتلاك إسرائيل له، أنظر مقالة، عدنان مصطفى، «إشكالية وجود السلاح النووي في البيئة العربية»، المستقبل العربي، عدد 266، أفريل 2001، ص ص 64 وما بعدها.
- 32 هناك مجموعة من المصالح تحرك التدخل الأمريكي في المنطقة أهمها البترول . أنظر/ برانلي أ. تاير ، السلام الأمريكي والشرق الأوسط المصالح الاستراتيجية الكبرى لأمريكا في المنطقة بعد 11 أيلول، ترجمه بإشراف: د. عماد فوزي شعبي لبنان : مطابع الدار العربية للعلوم، 2004.
- وكذلك : ناجي أبي عاد وميشيل جرينون، النزاع وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط، ترجمة: محمد نجار الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 1999.
- 33 لأن أمريكا ليست إلا الفهم البريطاني التطبيقي لفكرة إسرائيل التاريخية، للمزيد أنظر: منير العكش، لمعنى الإسرائيلي لأمريكا"، المستقبل العربي، عدد 281، جويلية 2002، ص ص. 95-102.
- 34 د. عبد المجيد بوزيدي، " ماذا تخفي الحرب الجارية على لبنان"، جريدة الشروق اليومي، عدد 10 أوت 2006.
- 35 عن جريدة الخبر اليومية، عدد 05 سبتمبر 2006.
- 36 وهو ما حدث كما يبدو، عندما عبرت بعض الدول العربية مؤخرا عن رغبتها في امتلاك التكنولوجيا النووية السلمية.

37 حسب وسائل الإعلام المختلفة أن الضغط على الحكومة الفلسطينية بقيادة حماس هو لأجل القبول بالشروط التي وضعتها الرباعية الدولية وهي: الاعتراف بإسرائيل، المصادقة على جميع الاتفاقيات الفلسطينية الإسرائيلية السابقة، ونبذ العنف والإرهاب.

38 لقد جاء في جريدة البلاد اليومية، عدد 28 سبتمبر 2006، أن الجنرال الإسرائيلي عامي أيلون أحد قادة حزب العمل قد صرح للإذاعة الإسرائيلية عقب فشل العدوان الإسرائيلي على لبنان بضرورة بدل الحكومة الإسرائيلية جميع الجهود الممكنة لإقامة تحالف بين إسرائيل والدول السنية المعتدلة في المنطقة. وفي نفس السياق عبر رئيس كتلة حزب العمل في البرلمان الإسرائيلي الجنرال افرايم سنيه على وجود مصلحة للدول العربية في عدم نجاح حركات المقاومة في لبنان وفلسطين.